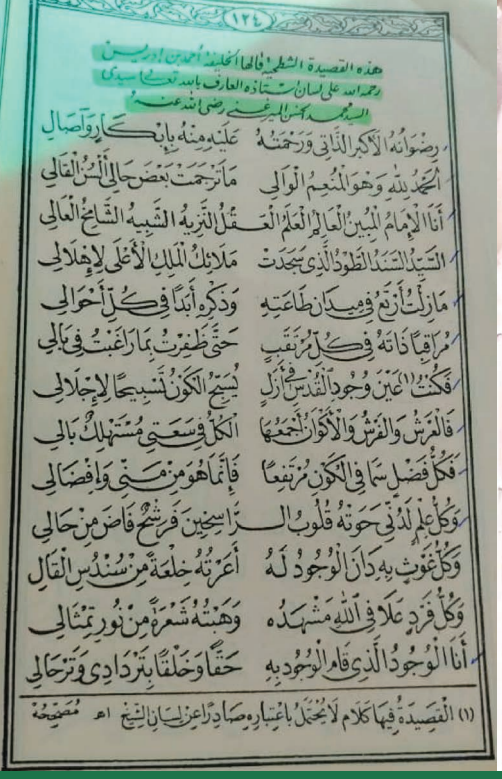

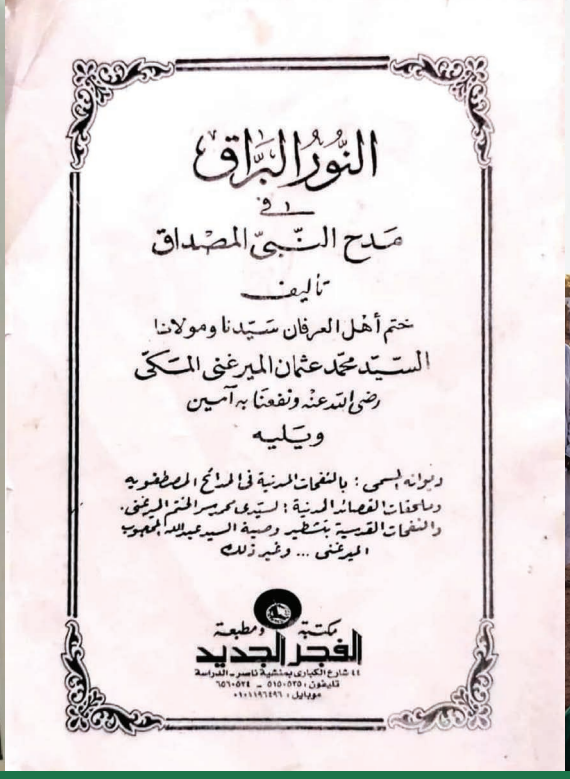
النور البراق
في
مدح النبي المصداق
تأليف
ختم أهل العرفان سيدنا ومولانا
السيد محمد عثمان الميرغني المكي
رضي الله عنه ونفعنا به آمين
ويليه
وعنوانه بسمي: بالنفحات المسنية في المدائح الرسولية
وسابغات الفضائل السنية: لسيدي محمد سر الختم الميرغني.
والنفحات القدسية بتشطير وصية السيد عبد الله المجذوب
الميرغني ... وغير ذلك
مكتبة ومطبعة
الفجر الجديد
٤٤ شارع الكبابري بشبرا ناصر - الفراسة
تليفون: ٥١٥٠٣٢٥ - ٥٦١٠٥٢٤
موبايل: ٠١٠١١٩٦٤٩١

صوفية السودان وفكر ابن عربي

د. عمار صالح موسى - السودان

التصوف داء عضال أصاب الأمة الإسلامية، وهو من أسباب تأخرها. ونحن اليوم نعيش من جديد فتنة شخصية صوفية كان لها أثر كبير في ضلالات التصوف، وتأثر به عدد كبير من الصوفية الذين أتوا من بعده في جميع البلدان الإسلامية، ومنها دولتنا بلاد السودان.

من هو ابن عربي؟

هو محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بـ: محيي الدين بن عربي، أحد أشهر المتصوفين، لقّبه أتباعه «بالشيخ الأكبر»، ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية، في حين لقّبه خصومه «بالشيخ الأكفر»!

ولد في مرسية بالأندلس في شهر رمضان عام ٥٥٨هـ الموافق ١١٦٤م، قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني. وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م. ودفن في سفح جبل قاسيون[1].

وله كتب ومؤلفات من أبرزها:

١-الفتوحات المكية: وهو موسوعة صوفية كبرى تعد الأضخم في التراث الإسلامي، وتتكون من ٣٧ سفرًا و ٥٦٠بابًا، يشرح فيها ابن عربي معارفه وتجاربه الروحية.

٢- فصوص الحكم: من أهم كتبه وأكثرها شهرة وإثارة للجدل، وهو عبارة عن فصول (فصوص) تتحدث عن الحكمة الإلهية على لسان الأنبياء.

٣- ترجمان الأشواق: ديوان شعر صوفي خصصه لمدح «نظام» ابنة الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني، وفيه إشارات ورموز صوفية عميقة.

٤- شجرة الكون: رسالة قصيرة تتحدث عن حقيقة الوجود المحمدي ووحدة الكون.

٥- التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية: كتاب يعالج فيه الجوانب النفسية والروحية للإنسان وكيفية إصلاحها.

٦- ديوان المعارف الإلهية: يضم مجموعة من قصائده وأشعاره الصوفية.

١- ويكيبيديا، ابن عربي متصوف عربي أندلسي.

عقيدة ابن عربي

* القول بوحدة الوجود ونفي المباينة بين الخالق والمخلوق:

أ- المساواة بين العبد والرب، كما في شعره المشهور في كتاب فصوص الحكم:

الرَّبُّ حَـقٌّ وَالعَبْدُ حَـقٌّ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ المُكَلَّفُ؟

إِنْ قُلْتَ عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ أَوْ قُلْتَ رَبٌّ أَنَّـى يُكَلَّـفُ؟

ومن أقواله أيضاً في هذا المعنى: «فيحمدني وأحمده، ويعبدني وأعبده».

ب- القول بإيمان فرعون ونجاته:

ذكر ابن عربي في كتابه فصوص الحكم أن فرعون مات مؤمنًا طاهرًا مقبوضًا على الإيمان، واستدل بظاهر قوله تعالى على لسان فرعون: (آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَاءِيلَ وأنا من المسلمين) [يونس: ٩٠]. وهذا مخالف لما في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى) [طه: ٧٩] وقوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٤]. وغير ذلك من الأقوال الكفرية التي اشتهر بها.

ج- عقيدة تصرّف الأولياء في الكون:

«وكان أبو السعود منهم، كان رحمه الله ممّن امتثل أمر الله في قوله تعالى «فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا»، فالوكيل له التصرف، فلو أمر امتثل الأمر، هذا من شأنهم، وأما عبد القادر فالظاهر من حاله إنه كان مأمورا بالتصرف، فلهذا ظهر عليه، هذا هو الظن بأمثاله، وأما محمد الأواني فكان يذكر أن الله أعطاه التصرف فقبله، فكان يتصرف ولم يكن مأمورا فابتلي، فنقصه من المعرفة القدر الذي علا أبو السعود به عليه، فنطق أبو السعود بلسان الطبقة الأولى من طائفة الركبان وسميناهم أقطابا»[٢].

تأثر صوفية السودان بفكر ابن عربي:

وصوفية السودان مثل غيرهم من صوفية العالم تأثروا بفكر ابن عربي وأقواله الكفرية، حيث ورد في كتبهم وأشعارهم زندقة وكفر مثل الذي يقول به ابن عربي وإليك بعض النماذج:

١- السيد محمد الحسن بن عثمان الميرغني المكي:

هو مؤسس الطريقة الختمية (الميرغنية) المنتشرة على نطاق واسع في السودان ومصر وأريتريا، حيث ورد في كتابه «النور البراق في مدح النبي المصداق»، قصيدة شطحية للخليفة أحمد على لسان أستاذه العارف بالله سيدي محمد الحسن الميرغني:

أنـا الإمـام المبيـن العالـم الـ عقل النزيه الشبيه الشامخ العالي

السيد السند الطود الذي سجـدت ملائـك الملـك الأعـلى لإهلالـي

ما زلـت أرتع فـي ميدان طاعتـه وذكـره أبـدا فـي كـل أحوالـي

مراقبـا ذاتـه فـي كل مرتقـب حتـى ظفرت بمـا راغبت فـي بالي

فكنت عين وجـود القدس في أزل يسـبح الكـون تسـبيحا لإجلالـي

فالعرش والفرش والأكوان أجمعها الكل في سـعتي مسـتهلك بالي

فكل فضـل سما في الكون مرتفعا فإنمـا هـو مـن منـي وإفضالـي

وكل علـم لدني حوتـه قلـوب الـ راسـخين فرشـح فاض مـن حالي

أنـا الوجود الـذي قام الوجود بـه حقـا وخلقا بتـردادي وترحـالي

فمن تمسـك بي أو حـل في حرمي نـال المـرام بلا ريـب وإشـكال

أنا الجليس على العرش المحيط كما أحطـت بالغيب تفصـيلا وإجمالي[٣]

٢- الشيخ محمد النور بن ضيف الله:

عالم صوفي ومؤرخ فقيه مالكي صاحب كتاب «طبقات ود ضيف الله» الشهير، وقد ورد فيه: «وقال الشيخ إدريس: درجات الأولياء على ثلاثة أقسام: كبرى ووسطى وصغرى، فالصغرى أن يطيروا في الهواء ويمشوا على وجه الماء وينطقوا بالمغيبات، والوسطى أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قال للشيء كن فيكون، وهذا مقام دفع الله ولدي، والكبرى هي درجة القطبانية»[٤].

٣- الشيخ عبدالرحيم الشيخ محمد وقيع الله البرعي:

من شيوخ الطريقة السمانية، ومن أكبر شيوخ الطرق الصوفية المعاصرين في السودان، حيث قال في ديوانه «رياض الجنة ونور الدُّجنة»:

ألا يا رجـال الغيب أنتـم حصوننا فما زال مسبولا على الناس ستركم

أيلحقني ضيم وأنتـم حمايتـي وألهـف عطشانا وقد فاض بحركم

فحاشى وحاشى أن تضيع عيالكم وأنتـم عيـال اللـه والأمـر أمركم

إذا شـئتم شـاء الإلـه وإنكـم تشاؤون ما قـد شـاء لله دركـم[٥].

٤- الشيخ عبد المحمود نور الدائم:

من شيوخ الطريقة السمانية أيضا، ومؤلف كتاب «النصرة العلمية لأهل الطرق الصوفية» حيث يقول:

ألا بذكـر اللـه تـزداد الذنـوب وتنطمـس البصائـر والقلـوب

فتـرك الذكـر أفضـل كل شـيءٍ وشـمس الذات ليس لهـا غروب[٦].

٢- الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية، لابن عربي، نسخة منقحة (الأجزاء الأربعة)، المصدر: الشاملة الذهبية – ١/ ٢٠١.

٣- النور البراق في مدح النبي المصداق، مولانا محمد عثمان الميرغني، مطبعة الفجر الجديد، ص ١٢٤.

٤- طبقات ود ضيف الله، الدار السودانية للكتب، ص ١١٦.

٥ - رياض الجنة ونور الدُّجنة، دار ومكتبة الهلال، ص ١٢٦.

٦ - النصرة العلمية لأهل الطرق الصوفية، تحقيق الشيخ عبد الجبار المبارك، ص ٣٤.